

بظهور أرسطو في تاريخ الحضارة اليونانية على ما يوجد من فوارق بين الصورتين ، فإذا اعتبرنا أرسطو مؤصل الفكر التجريدي ومنظم الاستنباط المعرفي سلمنا بأنه ثمرة نضج فلسفي طويل المدى في تاريخ الحضارة اليونانية فكان لذلك السبب ضابط أصولية المعرفة الإغريقية عموما ، وقد جاء متأخرا نسبيا فحظي بالبعدين الضروريين لكل تنويع أصولي .

* * *

هكذا نتبين في ضوء هذا الاستقراء المتصل بتكوينية المعارف ونواميسها عبر جدل التاريخ كيف ان مدونة ابن خلدون لم تكن مجرد امتداد لخط أصولي واحد ، ولا كانت تنويعا نوعيا لفرع قطاعي يختص به علم التاريخ ، وإنما جاءت صهرا خصيبا لأصوليات فرعية فكانت نموذجا للتويع الكلي المتجاوز لحدود الفرع وأنماط الأجزاء . على هذا المنطلق نرتكر لنقرر باديء ذي بدء أن منظومة ابن خلدون قد مثلت أصولية معرفية توليدية وهو ما جعلها تستمد طابعها التوليدي من خصوصية التجريد القياسي والتأليف الاستيعابي ، فإذا بابن خلدون من حيث ينظم المعارف ، ويتحسس نواميسها الخفية وينقد مناهجها ويفحص ثمارها ، بل من حيث يستكنه أصول الإدراك اليقيني عموما ، يبتكر علما جديدا فيضع أسسه لا بالاتفاق أو التضمنين وإنما بالوعي الصريح ، والتبصر المحكم .

فليس من الزعم في شيء ، ولا من تعسف التراث أو جموح الحداثة ، أن نعزو الفكر الأصولي عند ابن خلدون إلى إكتشافه بعدا عقليا نتبناه اليوم طائنين أنه وليد حديث ألا وهو مبدأ تمازج